والحقيقة لم تعد لها أهمية تذكر، بما أنّ كلّ المعنيين في الأمر ـ بمن فيهم مشاهدي التلفزيون، الصحفيين، أعضاء إدارة الحرب، الإستراتيجيين العسكريين، المقاتلين في الخطوط الأمامية، الخ، ـ يعتمدون بدرجات مماثلة على شبكة اتصالات تقوم بفرض و صياغة تصوراتهم عن الأحداث عند كلّ مرحلة، و هي بالتالي تحجب أية امكانية للوصول إلى "الحقائق" بمعزل عن مختلف تجلياتها الإعلامية أو الإلكترونية. وهذا يؤدّي إلى الخلط بين السؤال الإنطولوجي (ماذا حدث؟) و بين السؤال الإبستمولوجي (ماهي الصعوبات التي تواجهنا باتجاه معرفة ماكان قد حدث؟) هذا الخلط شائع في أوساط أولئك المفكرين، من أمثال بودريار، الذين ينقضّون على أيّ مسوّغ يبرّر نهاية "مرحلة" الخطاب التنويري، الباحث عن الحقيقة.

ربما لاشيء هنا يقترب من تجربة الجنود في الحرب العالمية الأولى الذين كانوا يشاهدون فظائع الإندحارات الكارثية كمسألة حقيقة قاسية لاتحتاج إلى برهان، ومن ثمّ يقرؤون التقارير في الصحافة البريطانية ـ سُخّرت جميعها لصالح جهود الدعاية ـ التي كانت تزيّف أرقام الإصابات، وتتعامل مع الصراع كقضية حضارية، و تردّد صدى التبجّح المعنوي النمطي بأنّ النصر قاب قوسين أو أدنى. والحقّ، أنّ المدهش في معظم ما أتانا على شكل ذكريات (صحفية أو قتالية) "واقعية" عن حرب الخليج هو شعور غريب بأنه ما من أحد قد **عايش** هذه الأحداث إطلاقاً، بل كأنما شوهدت من مسافة بعيدة بحيث قلّما يدخل "الواقع" في صدام مع السيل الجارف للصور، وسيناريوهات ألعاب الحرب، وتمارين الصحافة الخليفة، وما إلى ذلك. وأيضاً، ثمة حقيقة أخرى ـ قليلاً ماتُذكر ـ وهي أنّ الخسائر العراقية، المدنية والعسكرية، يمكن أن لاتُعرف أبداً بدقة، نظراً للطاقة التدميرية للأسلحة المستخدمة وقدرتها على المحو التقريبي لأي دليل. في ضوء كلّ هذا، سيكون من السخف التظاهر بأنّ حرب الخليج لاتطرح معضلات خاصّة لأي شخص يسعى لتغطية الأحداث بأمانة، أو لتحليل التغطية الإعلامية ومدى